الطفل، خطاب غواية ومكر، إنشائي ومُفَصَّل، تصاحبه بتحريك الرأس والإشاحة باليدين والتلوي بمجمل الجذع والأطراف والدب على خشبة المسرح بالقدمين. وما إن تنتهي المرأة من خطابها حتى تعود إلى الحلقة لتحل امرأة أحرى محلها، تقدم دعواها على حلفية النعيق. استمع الحاكم إليهن جميعا قبل أن يقرر أن يوزع الطفل عليهن. بعدها بدأت عملية تقطيع الطفل وانفلتت السماء على الخشبة في فوضى عارمة؛ لأن الماسك بالساطور كان يقطّع ويقذف فتركض النساء يمنة ويسرة، تحاول كل منهن التقاط ما يمكن التقاطه قبل الأخريات.

كان يتابع ما يدور ويبكي بكاء غريبا بلا دموع؛ لأن الفزع على ما يبدو جمّد الدمع في عينيه كما جمّد الدم في عروقه وماء الحياة في جسمه.

يرحم الله عباده. دق الباب. دخلت شهرزاد، كإله إغريقي ينزل بقدرة قادر على خشبة المسرح لينهي هول المشهد. قالت: ما بك يا جدي؟ أغسل وجهك وصفف شعرك. أخذتني من يدي إلى الحمام ووقفت بجواري وأنا أغسل وجهي، أمسكت بالمشط، صففت لي شعري. جلست بالقرب مني. قلت احكِ يا شهرزاد. قالت:

ـ الأرنبة ولدت!

قلت:

ـ وسنتي انخلعت ورميتها في الشمس!

قلنا في صوت واحد:

ـ وقلت يا شمس يا شمّوسة خدي سنة الجاموسة وهاتي سنة العروسة!

نتشارك في اللعبة منذ سنين ونحن نستعيد معا كلماتها وهي طفلة. سألتها:

ـ لو رسمتِ جهنم يا شهرزاد، ماذا ترسمين، أقصد كيف ترسمينها؟